مقالة

بسم الله الرحمن الرحيم

فاجعة طنجة شمال المغرب هي جريمة نظام!!!

استيقظ أهل المغرب على فاجعة من بين فواجع تترى بها حياة أوجاعهم، وكأنك بحياتهم تجربة أوجاع وأحزان، لا تكاد تمتلئ بوجع لتفرغه، حتى تفرغ لتمتلئ بوجع آخر. استيقظوا على مقتل ٢٩ من فلذات أكبادهم غرقا في قَبْوٍ كان معملا سجنا للنسيج، بمدينة طنجة شمال المغرب، بعد أن حاصرتهم مياه الأمطار داخل القبو، وعَدِمُوا الغوث بعد طول استغاثة، ومن هول الفاجعة فَقْدُ أم أرملة لبناتها الأربعة في الحادث.

ولك أن تسأل وأن تستغرب كيف يكون الغرق في قبو بيت؟! ولكنها من غرائب مآسينا في زمن هدم رويبضاتنا ووباء سياستهم، التي ما كانت فينا إلا فسادا وإفسادا.

زخات مطر لسويعات من نهار لا تذكر تغرق مدنا وتزهق أرواحا وتنهك أموالا، ما كان القضاء فيها إلا مطرا، وتكفلت سوء الرعاية وفساد الراعي ولؤم البطانة بتحويلها إلى فيضانات عارمة وسيول جارفة، لك أن تعلم أننا ما سمعنا بهلاك زرع أو ضرع بريف أو بادية، ولكن رأينا خرابا حل بالمدن لفقدها شبكة مجارٍ لصرف المياه، وإن وجد منها شيء فمهترئ متهالك بفعل عدم الصيانة وفساد التجهيز والتركيب ثم ضيق سعة المجاري؛ ما حَوَّل البالوعات إلى قاذفات للمياه عوض بلعها أغرقت شوارع وأحياء ومدنا، وذلك الذي أغرق القبو المعمل في ثوان معدودة.

تالله ما كانت مآسينا إلا صورة من صنيع رويبضاتنا فينا، وكأنها أيام من حول حكمهم المشؤوم مستمرة متكررة، فنحن بحقٍّ الغارقون في شبر ماء، فمع كل قطرة مطر نستشعر هول الفاجعة؛ فقبل أسابيع غرقت شوارع وأحياء البيضاء كبرى حواضر البلد ومركز اقتصاده، وأسفرت تلك الفيضانات عن انهيار مبان وإزهاق أرواح وضياع ممتلكات. وقبلها في أيلول/سبتمبر ٢٠١٩ قضى ٢٤ مسافراً إثر انجراف حافلتهم جراء سيول الفيضانات، وقبلها قضى ١٥ من أهل مراكش على إثر انهيار أرضي بسبب الفيضانات. ثم كان وكان وكانت فاجعة الجنوب بإقليم كلميم سنة ٢٠١٤ وفيضاناتها التي أسفرت عن دمار قرى بأكملها وحولتها إلى برك من الماء والطين، وأزهقت عشرات الأرواح.

فهذه الفيضانات المتكررة عرّت حقيقة البنية التحتية المنعدمة وإن وجد منها شيء فمهترئ متهالك، وغياب الخدمات والمرافق اللازمة، فسويعات من زخات مطرية كفيلة بتحويل مدن لبرك ماء وقرى لركام طمي، بسبب الاختناق السريع للبالوعات الضيقة المتهالكة، المهملة الصيانة، والسيئة التصميم والتجهيز والتركيب.

أما الحقيقة العارية فهي فساد النظام منظومةً وأجهزة، عطفا عليهم فساد الذمم الذي ينخر سوسه جسم المجتمع، حتى بات في إفساده أشد من الفساد ذاته، ولك أن تعلم حجم الفساد من أن زخات مطرية لسويعات لا تعد حطمت قناطر وطرقاً لم يمر على إنشائها سوى ٣ أشهر، وانهدمت أبنية سلمت رخص بنائها فوق أسرة ومجاري أودية جافة جرفتها السيول بعد حين، بل في فجور هذا النظام واستهتاره بأهل البلد أحياء وأمواتا، أن ضحايا إحدى الفيضانات رميت جثتهم في شاحنة للأزبال لنقلهم!

ثم استمرارا في غيه وفجوره، فمتى حلت الكارثة تداعى هذا النظام الفاجر للتعمية على إجرامه، وانبرى إعلامه المأجور لتحويل الجريمة إلى قضاء، وقبيح وشنيع سوء رعايته إلى قدر، بل في امتهانه واحترافه للكذب جلد الضحية ونسب إليها قبيح صنيع نظامه! فقد أذيع خبر فاجعة طنجة مرفوقا ومذيلا بالقرينة التهمة، من كون القبو المعمل كان سريا، في خبث إيحاء وإيهام بأن المعمل حالة نشاز وخروج عن النسق ومخالفة للوائح والقوانين الإدارية، وفي كل هذا ما كان هذا الكذب الصاخب إلا سعيا لطمس حقيقة الجريمة والمجرم.

فبعد هذا الهرج والمرج حول سرية المعمل والذي اتضح أنه ما كان في يوم من الأيام سريا، فالقبو المعمل ما كان نشازا في منظومة غارقة في الفساد ولا سريا، فالمعمل لشركة مرخص لها منذ سنوات، وبناء عليه تم تزويده بتيار كهربائي عالي التوتر لتشغيل معدات وآلات الخياطة بعد حصوله على تراخيص من الأجهزة والإدارات المعنية.

أما ما وراء الأكمة، فهو أن جل معامل ومصانع النسيج سواء بطنجة أو البيضاء تفتقر إلى أدنى معايير السلامة المهنية للآدميين؛ مساحات ضيقة واكتظاظ، وانعدام مخارج ومنافذ للطوارئ حالة الحرائق أو الفيضانات، وعدم وجود مطافئ لإخماد الحرائق بورشات النسيج، فضلا عن سوء التهوية وانعدام الشروط الصحية وغياب النظافة ومرافقها...، فحسب دراسة لنقابة رجال الأعمال "اتحاد مقاولات المغرب" لسنة ٢٠١٨ فإن ٥٤% من منتجات النسيج تصنع في معامل "لا تحترم المعايير القانونية".

والأنكى أن هذا الوضع لقطاع النسيج بالمغرب خطط له وصمم بهكذا شكل مأساوي استجابة لحاجة رأسماليي القطاع الغربيين خلف البحر، وتحديدا شركات النسيج الفرنسية والإسبانية بتواطؤ تام مع الدولة وأجهزتها. فمن شروط الرأسمالي الغربي خلف البحر إعفاؤه ضريبياً وحصانة قانونية من أية مساءلة بل إعفاؤه من قانون الشغل المحلي نفسه، وتوفير اليد العاملة بأبخس الأثمان وأزهد الأجور، لتخفيض مصاريفه وزيادة أرباحه. ولتوفير هكذا نخاسة، وتخفيضاً للمصاريف في حدها الأدنى، يلجأ النظام لهكذا أساليب ووسائل حقيرة دنيئة باستعمال حاويات وجدران مغطاة بصفائح القصدير وأقبية كلفتها متدنية كمعامل ومصانع لجيوش البائسين الكادحين من شباب البلد، فضلا عن جعل أغلبية هؤلاء الكادحين غير مسجلين في لوائح الشغل أي ليس لهم أي غطاء قانوني، مما يسهل غمط حقوقهم وتخفيض تكاليف أجورهم.

فحسب معطيات الجمعية المغربية لصناعة النسيج والألبسة (لاميث) فإن إسبانيا وفرنسا تشكلان لوحدهما ٦٠% من سوق النسيج بالمغرب، ويوفر القطاع فرص شغل لعمالة قدرت بـ٦٠٠ ألف، منها ٢٠٠ ألف بالقطاع الرسمي المنظم و٤٠٠ ألف خارج التغطية القانونية. وكشفت القناة الإسبانية "تيلي سينكو" في تحقيق صحفي مصور لها سنة ٢٠١٩ عن مآسي وعذابات عمال النسيج بطنجة، ومن أن مفتشية الشغل ممثلة في مفتشيها تخفي أبشع أنواع الاستغلال وأشنع ظروف العمل، وأضافت أن ٨٠ ألف عامل في ٥٠٠ مصنع بطنجة لا تتعدى أجورهم ٥٠٠ درهم للأسبوع ما يعادل ٤٦ يورو، وتبلغ ساعات العمل ١٢ ساعة في اليوم.

علما أن من يشرف على هذا المقت والعبودية المقنعة هي الشركات الغربية الرأسمالية لصناعة النسيج التي تتعاقد مع هكذا معامل ومصانع وتديرها نيابة عنها الدولة الوظيفية وأجهزتها، ويكأن رقيق حقول القطن قد استبدل بهم عبيد معامل النسيج، والغرب الكافر هو هو في توحشه الرأسمالي لا يحيد عن طبعه المفترس قيد أنملة.

والذي زاد من قبح المصيبة أن هذه الحاويات المصانع والأقبية المعامل في افتقارها لأدنى شروط السلامة والأمان كانت وما زالت مصدرا للكوارث والفواجع، فحسب بيانات "المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي" فإن حوادث الشغل بالمغرب تصل إلى ٢٠٠٠ حالة وفاة في السنة الواحدة، وهي من أعلى الأرقام في منطقة شمال أفريقيا والشرق الأوسط.

ما كانت فاجعة طنجة إلا جريمة أخرى تضاف لسجل الموت الأسود لجرائم النظام ومن ورائه الغرب الكافر، وما كنتم فيها معشر الأهل بالمغرب إلا حطبا لناره، وما كنتم إلا رقما في شبكة الاتجار بالبشر لرأسماليي الغرب الكفرة الفجرة، ونخاسكم نظامكم.

يا معشر الأهل المقهورين والمحرومين في المغرب:

هذا حالكم في زمن الرويبضات اللئام؛ سوء رعاية وإهمال وإذلال – حشف وسوء كيلة – يبغون للغرب الكافر ولأنفسهم ما لا يبغون لكم، يتخوضون في أموالكم ترفا وفحش غنى ولكم في دويلاتهم جحيم الفقر وخراب الجهل ومستنقع الأمراض نصيبا وحظا وسياطهم تلهب ظهوركم ظلما وقهرا.

يا معشر الأهل:

أما آن لكم أن تنفضوا عنكم غبار المهانة وتنزعوا عنكم لباس الذل وتكسروا أغلال القهر؟! ولن يكون ذلك إلا إذا اتخذتم من تحكيم شرع ربكم قضية مصيرية لكم، ولن يكون ذلك إلا بانتزاع سلطانكم المغصوب من هكذا رويبضات وبيعة إمام راشد على كتاب الله سبحانه وسنة نبيه □، يعمل فيكم بسيرة الراشدين خلافة راشدة على منهاج النبوة يقام فيها أمر دينكم وتستقيم فيها حياتكم ويحكم فيها بشرع ربكم فترد لكم حقوقكم وتحمى بيضتكم وتعز أنفسكم ويهاب جانبكم ويذل عدوكم، فتحققوا حقيق عبادة ربكم فيرضى عنكم ويرضيكم.

﴿وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

كتبه للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

مناجي محمد